



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٧٠٣/٢٠٠٠ د

رقم التصنيف الدولي ٩٥٢٢ - ١٦٠٥ ISSN

**البطائر**



## قواعد النشر والتوثيق في المجلة

### قواعد النشر والتوثيق في المجلة

- ١ - أن لا يزيد حجم البحث عن (٢٥) صفحة (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة.
- ٢ - أن لا يكون سبق نشره، أو أرسل إلى مجلة اخرى، وأن يرفق الباحث إقراراً خطياً بذلك.
- ٣ - أن يراعى في البحث ما يلي:
  - الأخذ بالاصول العلمية إحاطة، واستقصاء، وخطوات بحث، والحرص على التوثيق وحسن استخدام المصادر والمراجع.
  - كتابة البحث بلغة سليمة، والعناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط، أو الرسم ، أو الاشكال.
  - يزود الباحث هيئة التحرير بثلاث نسخ من بحثه مكتوبة على الالة الكاتبة .
  - يرفق بالبحث ملخص في حدود (٢٠٠) كلمة باللغة التي كتب بها، وآخر باللغة الثانية التي تعنى بها المجلة.
  - تدوين التعليقات والحواشي والمصادر والمراجع في آخر البحث.
- ٤ - تخضع البحوث للتحكيم من قبل أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث.
- ٥ - يبلغ الباحث بنتيجة التحكيم خلال ثلاثة أشهر من تاريخ وصول البحث للمجلة ، وموعده النشر إن أجزى البحث من قبل المحكمين.
- ٦ - يزود الباحث بنسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، وبعشرين فصلة (مستلة) من بحثه.
- ٧ - أن يلتزم الباحث بأصول التوثيق المعتمدة في المجلة على النحو التالي:
  - تدوين الاحالات المرجعية في نهاية البحث مسلسلة بأرقام تبدأ من الرقم (١)، وتشمل عندما ترد أول مرة: إسم المؤلف كاملاً، والمترجم أو المحقق إن وجدا، وعنوان الكتاب أو البحث، والطبعة ، ومكان النشر، والناشر، وسنة النشر، والجزء أو المجلد إن كان المرجع كتاباً، وعدد المجلة وتاريخها إن كان المرجع مجلة، ورقم الصفحة.
  - ترتب المعلومات البيلوغرافية إن كان المرجع كتاباً على النحو التالي : المؤلف بدءاً بالإسم الاول فالعائلة او الشهرة ، يليه فاصلة. إسم الكتاب بارزاً بالحرف الأسود متبوعاً بفاصلة. اسم المترجم أو المحقق إن وجدا. معلومات النشر، محصورة بين قوسين، على التوالي: مكان النشر متبوعاً بنقطتين، الناشر متبوعاً بفاصلة، سنة النشر، يلي القوس الأخير فاصلة يتبعها رقم الصفحة.
  - ترتب هذه المعلومات إن كان المرجع مجلة على النحو التالي: المؤلف متبوعاً بفاصلة، عنوان البحث بين علامتي تنصيص متبوعاً بفاصلة . إسم المجلة بارزاً بالحرف الاسود ، عدد المجلة متبوعاً بتاريخها بين قوسين ففاصلة فرقم الصفحة.
  - اذا تكرر ذكر المرجع في حاشيتين متتاليتين دون أن يكون بينهما فاصل، توثق الحاشية بذكر: المرجع نفسه (أو نفسه) بالحرف الأسود متبوعاً بفاصلة فرقم الصفحة. أما إذا كانت الصفحة نفسها من المصدر نفسه، فيذكر الموقع نفسه بالحرف الأسود.
- وإذا تكرر ذكر المرجع في غير حاشية وكان يفصل بين كل حاشية وأخرى مرجع آخر مختلف، توثق الحاشية بذكر اسم المؤلف متبوعاً بفاصلة، فعبارة المرجع المذكور بالحرف الأسود، ففاصلة ، فرقم الصفحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

## البصائر

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة البترا

المجلد ٥ / العدد ٢

جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ / أيلول ٢٠٠١

### هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. فهمي جدعان

مساعد رئيس التحرير

د. نهال عميرة      د. عصام سخيني

### الأعضاء

أ.د. زهير محي الدين      أ.د. محمد مخلص الصابوني

أ.د. علي حجاج      أ.د. محمد مطر

أ.د. أسامة علقم

أمينة السر

هنادة المومني

كل ما ورد في هذا العدد من مجلة البصائر يعبر عن وجهات نظر الكتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن وجهات نظر هيئة التحرير، أو سياسة جامعة البترا.



المراسلات باسم رئيس التحرير

مجلة البصائر

جامعة البترا

ص.ب (٩٦١٣٤٣)

عمان (١١١٩٦) - الأردن

الاشتراك السنوي في المجلة

١-الأردن

أ- للأفراد: (٥) خمسة دنانير أردنية

ب- للمؤسسات (١٠) عشرة دنانير أردنية

٢- الخارج:

أ- للأفراد: (١٠) عشرة دولارات أميركية

ب- للمؤسسات (٢٠) عشرون دولارا أميركيا

الصف والطباعة

دار المناهج للنشر والتوزيع

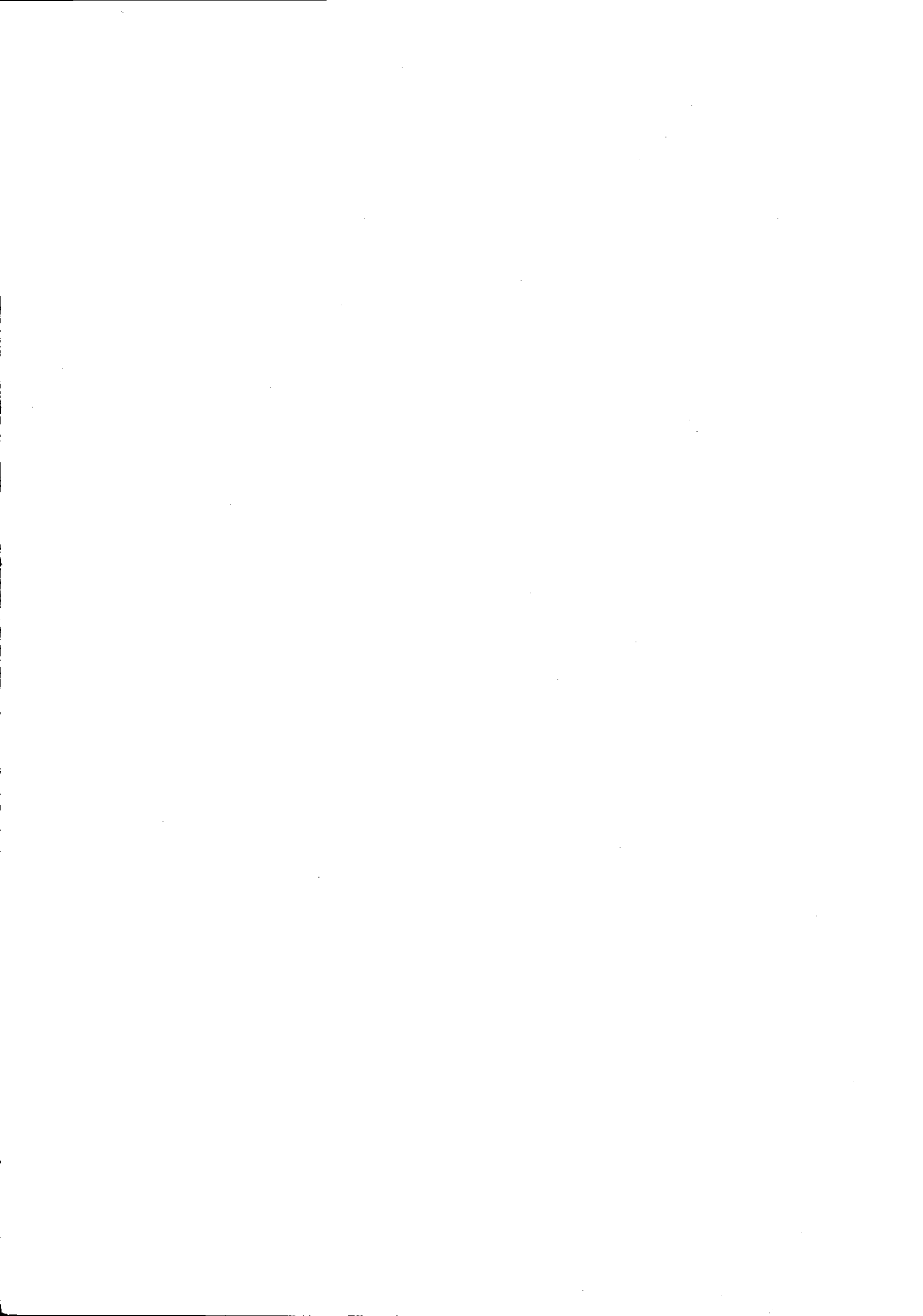
تلفاكس: ٤٦٥٠٦٢٤ عمان



ترتيب المواد يخضع لاعتبارات فنية، ولا علاقة له بأي اعتبار آخر

## المحتويات

- ٧ د. سمير قطامي الرواية السياسية في الأردن
- ٣٩ د. إيمان جودة د. رندة اليافي العلاقة بين البيروقراطية وضغوط العمل وعدم الرضا الوظيفي دراسة ميدانية في إحدى شركات القطاع العام
- ٩٥ هشام فوزي عبد العزيز التقارب التركي من إسرائيل في التسعينيات دراسة تحليلية للأسباب والعوامل التي ساعدت تركيا على التقارب من إسرائيل





## الرواية السياسية في الأردن

الدكتور سمير قطامي

الجامعة الأردنية - قسم اللغة العربية

### ملخص البحث

يتناول هذا البحث تأثير السياسة، بمفهومها العام والخاص، في الرواية الأردنية، ويبحث الأسباب التي كانت وراء ظهور السياسة في الشعر العربي أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، وعدم ظهورها في الروايات المبكرة في النصف الأول من القرن العشرين، إذ يرد ذلك إلى ارتباط الشعر بجذوره العربية، وارتباط الرواية العربية بالرواية الأوروبية الرومانسية وتأثرها بها، وارتباطها بالتسلية والترفيه في بدايتها.

ويرى الباحث أن السياسة لم تبد بشكل واضح في الرواية إلا في الأربعينيات، بسبب الحرب العالمية الثانية ونكبة فلسطين، وانعكاس ذلك على أبناء العالم العربي.

يكشف البحث أن الرواية في الأردن لم تظهر إلا في أواخر الثلاثينات في إطار تاريخي أو رومانسي، وأن أول رواية سياسية ظهرت هي رواية فتاة من فلسطين لعبده الحلیم عباس بعيد نكبة ١٩٤٨، لیتبعها عدد من الروايات في الخمسينات والستينات. وقد عرض البحث لهذه الروايات موضوعياً وفنياً بشكل مختصر، متوقفاً عند نكبة ١٩٦٧، وأثرها القوي في الرواية الأردنية، كماً وكيفاً.

توقف الباحث بتأن مع روايات ما بعد النكسة، كاشفاً بشكل صريح أثر السياسة ومواقف الكتاب الأيديولوجية على فنية الرواية وأساليبها وكيف حولتها أحياناً إلى خطب جوفاء، كما حولت الشخصيات إلى أبواق تردد مانشيتات صحفية وإعلامية جوفاء.. وقد ناقش البحث روايات: جراح جديدة لعيسى الناعوري، وأنت منذ اليوم لتيسير سبول، والكابوس لأمين شنار، وأوراق عاقر، وتلك الأعوام لسالم النحاس، وأحياء في البحر الميت، ومذكرات كاتم صوت، والشظايا والفسيفساء لمونس الرزاز، ومجرد ٢ فقط، وطيور الحذر، لإبراهيم نصر الله، مينا كيف انعكست السياسة على الرواية انعكاساً سلبياً في رسم الشخصيات وتحريك الأحداث والاتساق واستخدام الرموز والأسماء المباشرة أو الرموز المغلقة والاتكاء على التراث وتسطيح العمل واللجوء إلى الغرائبية... وقد ربط الباحث ذلك كله بالسرعة في الكتابة، وعدم اختبار التجربة، والمبالغة في عرض الأحداث، أو بالمواقف السياسية المسبقة للكتاب، أو لصغر سنهم، منبهاً أن الرواية السياسية ليست فناً سهلاً، وليس من السهولة المواءمة بين السياسي والفني في الرواية، أو تطويع الأيديولوجيا للفن، أو الكتابة الصريحة في العالم العربي.



## ***Political Novel in Jordan***

**Dr. Samir Qatami**  
**Jordan University- Faculty of Arts**

### ***Abstract***

This paper investigates the impact of politics on the Jordanian novel. It also looks into the reasons underlying the emergence of political views in Jordanian poetry in the late 19<sup>th</sup> century and in the 20<sup>th</sup> century and its absence in the Jordanian novel.

The paper argues that the Jordanian novel appeared in the late 1930s. in a historical and romantic perspective under the influence of the European novel.

The paper demonstrates that post 1967 novels were very much under the influence of politics and ideology, sometimes at the expense of the artistic and literary norms. Towards this end the paper reviews a number of representative novels by some Jordanian novelists such as Na'uri, Sboul, Shinnar, Nahhas, Razzaz and Nasseralleh. The paper concludes that the conscious orientation of some novels towards politics has had some negative impacts on the artistic qualities of the Jordanian novel particularly with regard to the plot and characters.

## السياسية وأثرها في الرواية:

ليس من السهل الوصول إلى تعريف محدد لكلمة السياسة، أو الاتفاق على دلالة هذه اللفظة ومعناها، إذ غدت السياسة في العصر الحديث كالمالح في الطعام، تدخل في كل قضايا المجتمع والناس، بدءاً من محاربة الاستعمار والدفاع عن الأرض، وانتهاء بسعر رغيف الخبز ومعاملة الموظف للمواطن... فالتعريف القدم بأن السياسة هي (الدراسة المنظمة لأساليب الحكم، أو دراسة الدولة ومؤسساتها المختلفة، وكيفية أدائها لوظائفها)<sup>(١)</sup>. لم يعد مقنعا أو مقبولاً في زمن تعقدت فيه أساليب الحياة، وتنوعت الاجتهادات واتسعت دائرة وعي الناس بحقوقهم، وانفتحت دول العالم بعضها على بعضها الآخر انفتاحاً سريعاً وشاملاً، نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات والتقدم التكنولوجي.

إذن يمكن القول أن السياسة قد خرجت من إطارها التقليدي، وهو الكفاح العسكري ضد العدو الخارجي، أو الصراع مع أجهزة الحكم والاختلاف معها، والتنظيمات الحزبية، لتسحب على حركة الناس وقضاياهم المصيرية واليومية، وترتبط بعلاقات الأفراد بأنظمة الحكم، وعلاقات الأفراد في ما بينهم. فالتعليم والزراعة والصناعة والتجارة والإعلام والتموين والماء والكهرباء والسكن والضرائب والبطالة. كل هذه سياسة في مجتمعنا المعاصر، بشكل أو آخر.

وإذا وقفنا أمام المفهومين وجدناهما بشكل واضح في شعر المرحلة ولم نجدهما بذلك الوضوح في الرواية. فالشعر في مصر وسورية ولبنان والعراق والأردن وفلسطين وتونس والمهاجر قد تعاطى السياسة وخاض فيها بشكل لافت للنظر وبشكل صارخ إلى الحد الذي جارت فيه على الفن أحياناً، ووسمت شعر المرحلة بالسمة السياسية، وما قصائد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وشفيق جبري

ومحمد البزم وخليل مردم وخيري الدين الزركلي وعمر أبي ريشة وإبراهيم اليازجي وبشارة الخوري والزهاوي والرصافي والجواهري ومصطفى وهي التل (عرار) وحسني فريز وعيسى الناعوري وإبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وعبد الكريم الكرمي وأبي القاسم الشابي وإيليا أبي ماضي وإلياس فرحات والشاعر القروي، في مقاومة الاستبداد ومصاولة الاستعمار والهجوم على الحكام المتعاونين معه، وبكاء الأجزاء السليبية من الوطن، واستثارة أبناء الأمة للدفاع عنها ورتاء الشهداء والعنصر الوطنية، ما هذه إلا تأكيداً لما نقول. وما القصائد الاجتماعية التي وقف فيها كثير من هؤلاء الشعراء إلى جانب الفلاحين والعمال والفقراء ضد الإقطاعيين والاستغلاليين والمحتكرين والحكام الفاسدين الظالمين إلا تعبيراً عن الوعي السياسي المشتعل منذ أواخر القرن التاسع عشر.

لكن اللافت للنظر أن الرواية في هذه المرحلة لم تبلغ مستوى الشعر في الوعي أو التصدي السياسي والاجتماعي أو في المواجهة، ولم تبد فيها السياسة بشكل واضح. فهل يعود ذلك إلى غياب الوعي الفكري والنضالي في هذه المرحلة<sup>(٢)</sup>، أم يعود لأسباب أخرى؟

أنا أرى أن ذلك يعود إلى اختلاف المرجع أو الجذر في كل من الشعر والرواية فالشعر العربي في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبسبب عوامل سياسية وثقافية واجتماعية، يعود إلى جذوره الأصلية بعد حقبة طويلة من الخمول والجمود والصنعة والتكلف، يعود إلى أصوله - كما بدأ - فنا حماسيا مرتبطا بروح الجماعة، منافحا عن الأمة، هازجا في أفراحها، باكيا في أحزانها، مادحا قادتها، هاجيا خصومها، في حين قيدت الرواية العربية ذاتها بالروايات الأوروبية التي نُهلت منها أو قلدها، وهي روايات عاطفية في الغالب. وقيد الروائيون أنفسهم - بلا وعي أحيانا -

بالرومانسية الأوروبية التي اهتمت بالفرد وعواطفه وأحاسيسه، والتي كانت من أهم المؤثرات في الرواية العربية. وهكذا وجدنا أنفسنا في مطلع القرن العشرين أمام تيلرين متباينين في الشعر والرواية: فالشعر وطني حماسي سياسي قومي اجتماعي إصلاحى مواجه، وكانت هذه مهمته الإيقاظية والإصلاحية. والرواية رومانسية عاطفية وجدانية تتناول قضايا الحب والزواج والسهر والقلق والفشل والعذاب والصراع، وكأن دورها لا يتجاوز هذه الدائرة أو هذه العلاقات الإنسانية. وقد ظلت هذه السمات تغلب على معظم الروايات العربية حتى منتصف الأربعينات.

وإذا كان رأي طه وادي مقبولاً، فكيف نفسر حضور الوعي الفكري والاجتماعي والسياسي عند الشعراء وغيابه عند الروائيين؟ وكيف حضر في نتاج الأدباء الشعري، وغاب في نتاجهم الروائي؟ فالتفسير الأدق هو ارتباط الرواية العربية بمصدرها الأوروبي الرومانسي، وارتباطها بالتسلية والترفيه في بدايته. وما يؤكد هذا أن عدداً من الإصلاحيين والمستنيرين كطه حسين والعقاد والمازني عندما كتبوا الرواية لم يخرجوا فيها على الإطار الرومانسي العاطفي<sup>(٣)</sup>، على الرغم من وعيهم السياسي وانتماءاتهم الحزبية ومقالاتهم السياسية الحادة ومعاركهم الصحفية.

### الرواية العربية والسياسة:

يمكن القول إن السياسة لم تبد في الرواية العربية بشكل واضح إلا في الأربعينات، مع نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ عانى العرب من الحرب أولاً، وعانوا من نتائجها التي جرت عليهم نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨، بأهوالها ونتائجها السياسية والاجتماعية، تلك النكبة التي أيقظت الأمة فظهر عندنا أدب سياسي هجائي، شعراً ونثراً، وتراجعت الرومانسية بأحلامها وشعريتها، لتحل محلها الواقعية والأدب الملتزم

بهموم الأمة وقضايا الجماهير، بجدتها ومباشرتها وصراحتها. وهكذا أخذت القضايا السياسية، من التصدي للحكام والمسؤولين، إلى الدفاع عن الوطن ومواجهة الاستعمار وأتباعه، إلى الدفاع عن الجماهير الشعبية والانتصار للمظلومين والفقراء والمضطهدين، إلى الدعوة للحرية والديمقراطية. أصبحت هذه القضايا هي التي تعلقو في روايات المرحلة، وكأني بالكتاب كانوا يحسون بالخجل من أنفسهم إذا تحدثوا عن الحب والغرام والزواج والسهر، في الوقت الذي تضيع الأقطار وتعرض الأمة لأخطر أنواع الصراع والتحدي الصهيوني والغربي. وهكذا بدأت السياسة تأخذ حيزا واضحا في النتاج الروائي العربي إلى أن بلغت الذروة اليوم في معظم الأقطار العربية وما عادت الرواية تكفي بالدفاع عن الوطن ومقاومة الحكام، بل غدا تركيزها على الحرية والديمقراطية، تلك التي غدت كأنها الحل السحري لمشاكل الأمة كلها!!

### الرواية في الأردن:

إذا كانت بداية الرواية الفنية في بعض الأقطار العربية تعود إلى مطلع القرن العشرين، فالرواية في الأردن قد تأخرت إلى أواخر الثلاثينات، وهي تبدأ برواية تاريخية لروكس بن زائد العزيمي نشرها سنة ١٩٣٨ بعنوان أبناء الغساسنة، يستعيد فيها حادثة وقعت في الكرك خلال حملة إبراهيم باشا في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ثم نقرأ رواية أخرى لتيسير ظبيان بعنوان أين حماة الفضيلة؟<sup>(٤)</sup>، ورواية ثالثة لشكري شعشاعة بعنوان ذكريات<sup>(٥)</sup>، وهاتان الروايتان الأخيرتان تصنفان في دائرة الأدب الرومانسي.

وبعد نكبة فلسطين مباشرة نلتقي بأول رواية سياسية في الأردن هي: فتاة من فلسطين لعبد الحليم عباس<sup>(٦)</sup>، وتتوالى الروايات بعد ذلك ومنها:

- فتاة النكبة لمريم مشعل<sup>(٧)</sup>.
- مارس يحرق معداته لعيسى الناعوري<sup>(٨)</sup>.
- وشمس الغروب لمحمد سعيد الجنيدى<sup>(٩)</sup>.
- وبيت وراء الحدود لعيسى الناعوري<sup>(١٠)</sup>.

### فتاة من فلسطين لعبد الحلیم عباس:

من أوائل الروايات التي تعرضت لنكبة فلسطين وتشريد أهلها، وقد تناول فيها الكاتب حياة بعض الأسر الفلسطينية وما أصابها جراء حوادث ما قبل التزوح وما بعده، وقد ادارها على قصة حب بين شاب وفتاة يبدأ على ارض فلسطين، وينتقل بعد ذلك، بسبب النزوح، إلى عمان، وينتهي باستشهاد الشاب على أرض فلسطين تلبية لنداء الواجب.

ومن خلال قصة الحب التي ربطت بين فدوى وسامي، بطلي الرواية، على ارض فلسطين، وعاشت ظروف التزوح وقسوة الحياة في عمان، يتناول الكاتب كثيراً من العادات والتقاليد السيئة ويحمل على جو الخطب والكلام الذي ساد البلاد العربية قبيل النكبة، كما يعرض لقطاعات من الناس، ولأخلاقهم وسلوكياتهم في تلك الظروف الاستثنائية.

### فتاة النكبة لمريم مشعل:

أهدت الكاتبة عملها إلى جميلة بوحيرد المناضلة الجزائرية، جان دارك العروبة، وقدمت لقصتها بأما طالبة فلسطينية من قرية قريبة من تل أبيب، كان أهلها يتعرضون لإغراءات العدو وتهديده لبيع أرضيهم، وهذه الفتاة تنذر نفسها لوطنها (وكل ما

تدور حوله القصة عبارة عن نكبة فردوسنا السليب... وأيام الحرب السوداء التي عاشتها فلسطين<sup>(١١)</sup>.

فالمؤلفة راغبة في تسجيل بطولة فتاة فلسطينية، قاومت - ما استطاعت - اغتصاب الأرض، وانتهى بها الأمر لاجئة في عمان. وبطلة القصة طالبة في المدرسة وعت محاولات اليهود لشراء الأرض وتسهيل بعض العرب لذلك. وقد استولى الأعداء على بيت والدها، ففاضل ابن عمها ضياء وعمل مع رفاقه لقتل الحراس الأعداء الذين استولوا على البيت. فالبطلة وفاء نائرة وهي طالبة، وممرضة حين انتقلوا إلى يافا، وبعد هجرتها من فلسطين سنة ١٩٤٨، تلتقي بابن عمها ضياء في عيادته بعمان<sup>(١٢)</sup>.

### مارس يحرق معداته لعيسى الناعوري:

وهي رواية أسطورية اتخذ فيها الكاتب من البيئة الرومانية في العصور الغابرة ميدانا لأحداث الرواية، ومن الآلهة وسكان قريتين رومانيتين هما جونو ومانيا، أشخاص روايته تاركا الأشخاص يتحركون ويتفاعلون في ذلك الإطار ليحملوا أفكاره في الحب والحرية والسلام وسعادة البشرية، بعيدا عن الحروب والصراعات والدماء. وهي دعوة لنبذ الحروب والقتال بين الأمم والشعوب، ودعوة لإعادة السلام إلى الأرض التي مزقتها الحروب وروثها الدماء. وقد كتبها المؤلف متخيلا فيها ما يتمناه من حلول السلام بين بني البشر، هاربا من أرض الواقع والحروب والدمار، ذلك الواقع الذي شهده وعاشه في فلسطين زمن النكبة، إلى عالم الأسطورة والخيال. يقول في تقديمه الرواية: "ما دامت الرواية لم توضع لمجرد العبث والتسلية ولا لإبراز البراعة الأدبية والفنية، وإنما لتخدم فكرة وهدفا إنسانيين، لذلك لم أجد أي مانع من أن أختار للرواية بيئة رومانية وآلهة وأشخاصاً رومانيين، وسواء كان مدار الرواية على

الرومان في عهدهم القديم، أم على العرب في عصرهم الحاضر، فلن يغير ذلك من الروح العامة التي لأجلها وضعت الرواية" (١٣).

وعنها قال أحد النقاد: "حاول الناعوري أن ينقل الواقع بأدوات رمزية وأسلوب رومانسي مزجته بذاتية متصورة" (١٤).

### شمس الغروب لمحمد سعيد الجنيدى:

وهي رواية صغيرة الحجم تقترب من القصة القصيرة، مألها الكاتب بأكثر من قصة وحادثة، وقدمها بعبارة لبوذا "أنا لا أعرف شيئاً عن الإله، ولكن أعرف أشياء عن بؤس الإنسانية" ومن الصفحة الأولى يقابلنا بعبارات: رحلت وتركته وفي المبادئه في الثورة على الاستعمار، والسعي إلى حرية الحياة، وتحرير الفكر من الوهم كي ترتبط أجزاء الوطن ويلمّ الشمل (١٥).

يصور المؤلف في القسم الأول من الرواية واقع الريف الأردني الفقير المتخلف، وما فيه من ظلم وقسوة يتعرض لها الرجل والمرأة على السواء، وإن كانت المرأة تعاني بالإضافة إلى ذلك، من ظلم الرجل الريفي وقسوته واستبداده وتسلطه. كما يتعرض لكثير من المفاهيم والمعتقدات والعادات التي تفتشت في أوساط الريفيين بسبب الجهل، كما يعرض صورة المدينة ليبيدي لنا الفروق الكبيرة بين الريف والمدينة، ولا يكتفي بذلك بل ينتقل بنا مع الشاب الذي يعمل خادماً عند الإنجليز ليكشف لنا مدى ما يعيشه مجتمعنا من صنوف التخلف والظلم والقهر، ويقيم علاقة بين هذا الشاب وفتلة مثقفة التقاه صدفة عند تلة، وتفقد هذه الفتاة بصرها لأن أباه العامل بإمكانياته المحدودة غير قادر على تأمين علاج لعينيها.



توسع المؤلف بروايته على صغرها، ليحشر فيها مجموعة من القضايا، كل واحدة منها يمكن أن يقام حولها رواية، كفساد الناس وأدواء المجتمع وعلله ومظاهرات العمال، والرقيق الأبيض والاستعمار الإنجليزي. وقد أراد الكاتب أن يقدم لنا رواية سياسية، فملأها بكل هذه القضايا، وإن جاءت على حساب نمو الشخصيات وترابط الأحداث وفنية البناء.

### بيت وراء الحدود لعيسى الناعوري:

وهي من أكثر روايات المرحلة حديثا عن نكبة ١٩٤٨، وعن الجو الذي عاشه الفلسطينيون قبل النكبة وبعدها في الداخل والخارج، كما تتحدث عن الواقع العربي في مواجهة الخطر الصهيوني.

أقام الناعوري روايته على العلاقات الإنسانية والعاطفية بين الناس في فلسطين قبل الهجرة وبعدها، مصورا مدى ما عاناه الناس في يافا من ألم ومرارة، مما أدى بصييين هربا مع أمهما إلى بيروت، بعد مقتل الأب على باب منزله، إلى العمل من أجل العودة إلى الوطن، ومقتل الأخ الأصغر على باب منزله الذي تسلل إليه بعد خمس سنوات، من قبل اليهود الذين احتلوا البيت.

لقد كتب الناعوري هذه الرواية من رحم النكبة وفي جوها، تلك النكبة التي ظلت تحفر عميقا في نفس الأم وفي نفس ابنيها، فدفعت بالأصغر إلى التسلل للوطن ليقتل على عتبة باب بيتهم المسروق، وبالأكبر إلى التطوع في الجيش الأردني وقتال اليهود سنة ١٩٦٧، ذلك الأخ الذي كتب حوله روايته الأخرى جراح جديدة، بعد نكسة ١٩٦٧.

إلى جانب هذه الروايات السياسية، تظهر بعض الروايات الاجتماعية التي تعالج قضايا الناس وهمومهم بأسلوب واقعي.

وتحدث حرب حزيران ١٩٦٧، وتقع الهزيمة التي سميت بالنكسة، فإذا بنا أمام منعطف حاد وهزة عنيفة في الثوابت والقيم والمفاهيم والعلاقات، وتبدأ الكتابات والاجتهادات تطالعنا صباح مساء في البحث عن أسباب النكسة، وتتفاوت التحليلات بين التخلف الحضاري والتكنولوجي والقمع السياسي وأغاني أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وإطالة شعور الشباب وتقصير ملابس الفتيات<sup>(١٦)</sup>، وقد أدى هذا الجو من البلبلة والحيرة إلى نهوض عدد من الروائيين بالادلاء بدلوهم وتفسير الأمر، وكل منهم من منظوره الأيديولوجي، كما أدى إلى ظهور كم كبير من الروايات السياسية ما يزال يتضح يوماً بعد آخر<sup>(١٧)</sup>، وإلى ظهور أساليب جديدة غير مألوفة في كتابة الرواية والتعامل مع الحدث<sup>(١٨)</sup>، فيخرج علينا عيسى الناعوري، وبعد أيام قليلة من الهزيمة، برواية عنوانها جراح جديدة<sup>(١٩)</sup>، تتم روايته الأولى في النكبة بيت وراء الحدود، كما يخرج علينا كل من تيسير سبول وأمين شنار وسالم النحاس، وبعد شهور قليلة من الهزيمة، بثلاث روايات من رحم النكسة وجرها، وهي على التوالي: أنت منذ اليوم والكابوس وأوراق عاقر<sup>(٢٠)</sup>، وهي روايات سياسية تبدو فيها الحدة والحيرة والارتباك، ولا تخلو من الافتعال والقسر.

### جراح جديدة لعيسى الناعوري:

قدم عيسى الناعوري لروايته بصورة جندي أردني محترق، وبصورة شباب فلسطينيين معصوبي العيون تقودهم قوات الاحتلال في ساحة المسجد الأقصى. وقد حولت السياسة والحماسة الحادة، الرواية إلى صفحات من الخطب والوعظ، ونزعت

من الشخوص الحياة والروح، وحولتهم إلى نماذج آلية، فعلى لسان البطل كريم يقول الكاتب بعد استعراضه لمآسي الحرب: إذا كانت هذه هي المدنية، فتف على المدنية، وإذا كانت هذه هي حضارة العالم الجديدة، فتف للعالم وحضارته<sup>(٢١)</sup>.

وفي مكان آخر يقول مهاجما المظاهرات "لم أؤمن قط بفوائد هذه المظاهرات، ولا بقيمة الانقلابات العسكرية، وكنت أشعر بالألم العميق لأن أمتنا تهدر دماءها وتستترف جهودها وقواها في الصراعات الداخلية، فتباعد بيننا وبين يوم العودة. لقد شغلت أمتنا بصراعات الأحزاب والعقائد عن العمل لوحدة الصف ووحدة العمل ووحدة المصير"<sup>(٢٢)</sup>.

وفي مكان آخر يقول على لسان كريم:

"من واجب كل فلسطيني أن يكون فدائيا، كلنا يجب أن نصبح رجال مقاومة سرية، وبذلك نشيع القلق والذعر في قلوب الأعداء، ونمهد السبيل أمام الجيوش العربية متى استكملت استعدادها لحرب التحرير... المقاومة الوطنية للاحتلال الأجنبي هي شريعة مقدسة عند جميع الشعوب، لقد عرفتها فرنسا وإيطاليا وألمانيا، كما عرفتها شعوب أوروبا الوسطى وكانت دائما في نظر العالم كله نضالا عادلا لحريسة الأمة والوطن"<sup>(٢٣)</sup>.

لقد تحولت كثير من صفحات الرواية إلى بيانات سياسية، كما تحولت الشخوص إلى أبواق تردد تلك المانشيتات الصحفية والسياسية دون أن نحس بصلصة واضحة بين الشخوص وبين ما تقوله: أن كل أساليب القسوة والتعذيب التي عومل بها اليهود في العهد النازي، جاء اليهود اليوم يستعملونها ضد العرب مع أن العرب لم يسيئوا إليهم قط قبل غزوتهم العدوانية<sup>(٢٤)</sup>.

وفي الربع الأخير من الرواية تتوقف الحركة القصصية مفسحة المجال لوصف صحفي للحرب<sup>(٢٥)</sup>. وتتحول الرواية إلى مجموعة مقالات.

### أنت منذ اليوم لتيسير سبول:

رواية صغيرة الحجم أيضا ولكنها واسعة المدى، ميدانها دمشق قبل بضعة أشهر من هزيمة حزيران ١٩٦٧، وعمان قبيل الهزيمة وبعدها، وبطل الرواية شاب أردني يتلقى العلم في جامعة دمشق، ويعيش الأجواء السياسية والحزبية والاجتماعية والثقافية هناك، وفي غمرة الأوضاع السياسية يقع انقلاب عسكري، ويتلوه آخر وآخر وتضطرب الرؤية في ناظري الشاب الأردني (عربي) ويحس أن تجربته الحزبية غير مقنعة، فينسحب من الحزب.

بعد عودته إلى الأردن يستدعي للإدلاء بشهادته حول أمور حزبية، فيدلي بشهادة كاملة عن أحد معارفه القدامى. وتحدث حرب حزيران وتقع الهزيمة التي يلخصها الكاتب بعبارة (بعد أن تم الأمر)<sup>(٢٦)</sup>. ويفقد (عربي) حماسته ويصاب بالقرص من كل شيء، ويحاول أن يتنحر، ولكنه يجبن في آخر لحظة، وينتهي روايته بالتساؤل "شعب نحن أم حشية قش يتدرب عليها هواة الملاكمة منذ هولاكو حتى هذا الجنرال الأخير"<sup>(٢٧)</sup>.

كان تيسير سبول قد بدأ كتابة روايته عقب عودته من دمشق، وهي تركز بشكل قوي على تجربة انسحاق الإنسان العربي وتلاشى كيانه في المجتمع العربي، سواء أكان ذلك في نطاق الأسرة أم في نطاق الحزب أم في نطاق المؤسسات الرسمية، فهو يعري أباه وأمه وأخاه، ويعري نفسه، ويكشف ما اختلج في روحه من صراعات.

ويقف وقفة جريئة من التاريخ في تناوله لشخصية محمد بن القاسم، فاتح الصين الذي غضب عليه الخليفة فقتله، ولكنه لم يتوان عن تسليم مفتاح المدينة للعدو، كما يعري الأحزاب ويتحدث عن تجربته الحزبية والجنسية بصراحة. أنه رافض لكل هذه الممارسات ووسائل القمع التي توجه ضد الإنسان وكأني به من خلال إحساسه بأزمة القمع التي عاناها الإنسان العربي منذ القدم، يتنبأ بالهزيمة.

تحاول الرواية التعبير عن مأساة أو فجيعة عاشها المثقف العربي بعد هزيمة حزيران، وهي تعرض مشاهد من حياة (عربي) المغترب عن مجتمعه، ولكنها ليست مشاهد متتابعة بل متقاطعة أو متوازية دون اعتبار لحدود الزمان أو المكان، وكأنها تصوير لحالة التمزق والقلق والحيرة التي يعيشها (عربي)<sup>(٢٨)</sup>.

جاءت رواية تيسير واقعية حادة في واقعتها ومعالجتها، وقد كتبها بأسلوب التداعي والحلم وحوار الذات وتداخل الأزمنة والأماكن والاتكاء على الكواييس، وهو لا يعتمد على الحدث المتنامي، بل يقيم الرواية على التداعي والمونولوج والعرض من خلال رحلة (عربي) واستبطانه لذاته. وهذه أدوات حديثة في الرواية لا بد لها من براعة فائقة، وقد قال عنها أحد النقاد: "رواية أنت منذ اليوم تعكس في بيئتها هشم الرؤية المتكاملة: لوحات قصيرة متتالية لا يربطها زمان أو مكان أو حدث واحد... وهذه الرؤية تشكل خروجاً عن نمط الكتابة الروائية العربية السائدة. وللتداعي بين المشاهد دينامية خاصة، فما يعاش في اللحظة الحاضرة، يستدعي ذكرى قديمة، تستدعي بدورها مشاعر وأحاسيس قديمة وجديدة، أي أن مجرى الوعي لا يتم على مستوى واحد، بل على مستويات متعددة، فالرابط بين مستويات التداعي ينبثق عن عناصر المفارقة والتناقض والانفعال"<sup>(٢٩)</sup>.

## الكابوس لأمين شنار:

الرواية حلقة في سلسلة الروايات التي تأثرت بهزيمة حزيران وبنيت بناء سياسيا واضح التوجه، وصاحبها من الأقلام المعروفة في فلسطين والأردن، نزرح إلى عمان بعيد النكسة، وقد أثر فيه جو النزوح والألم الذي كان يرين على الوطن العربي، وانعكس ذلك لديه بشكل أكثر حدة.

كتب أمين شنار روايته في زخم الأحداث وحدة الانفعال محاولا فيها تصوير واقع القضية الفلسطينية منذ مؤتمر بال في سويسرا أواخر القرن التاسع عشر حتى هزيمة حزيران ١٩٦٧ وواقع الأمة العربية، فانتهاز فرصة الهزيمة لي طرح تحليله للأمر واجتهاده في البحث عن خلاص من هذا الواقع المريع. وقد غلف روايته بالرموز التي يحتاج بعضها إلى شيء من الأناة حتى تفهم دلالاته وبعضها يستعصى فهمه، أو لا يمكن أن يوصل القارئ إلى قصد الكاتب.

تدور الرواية حول قرية صغيرة مهجورة في بطن جبل يحجزها عن العالم، تتكون من بيت واحد كبير يتربع على (جبل البخور) ويعلوه القرميد الأحمر، ترغمي أمامه مجموعة من الأكواخ الحقيرة المبنية من الطين والتبن يعيش فيها أهل القرية، والحياة في تلك القرية هادئة مصبوغة بالأحزان، وهناك الشيخ الكبير الذي يعيش في البيت الكبير ولا يظهر إلا قليلا، وهناك الغريب (موسى) الذي يظهر في القرية فجأة، ويصبح له نفوذ واسع فيها فيأتي بغرباء آخرين، وهناك الخفراء وهم رجال الشيخ الكبير، وهناك فرحات وهو الراوي ووارث المذكرات وبطل الرواية.

في الرواية غرائبية شديدة وأسلوب متقاطع زمانيا ومكانيا ومنطقيا، وفيها اعتساف حاد في حشد الأحداث والشخص والرموز والدلالات، فالرواية تنتهي على

صوت انهيار القرية بالكامل جراء زلزال يصيبها ظهر يوم الاثنين (يوم حرب حزيران) والزلزال هو هزيمة حزيران التي يصفها الكاتب بقوله:

"امتألت السماء بدخان أسود كثيف، واحتجبت الشمس وساد الظلام، ولعت في الأفق الغربي جمرات عجيبة تزداد توهجا كلما حدقنا فيها... لا فائدة، انتهى كل شيء. وانسللت دون أن يحس بي أحد، ثم اثنتيت صوب المشرق وأخذت أركض وكأني في حلم، وأركض". وفي حوار بين عودة العجوز المتفائل وفرحات يقول: "يا فرحات كم عاماً مد هذا اليوم في عمرك، إلا تحس أنك منذ الآن بدأت تحيا، ترى بكل عينيك، تسمع بكل أذنيك، تتنفس بكل خلاياك، يا فرحات هذا الذي حدث كان شيئاً لا بد منه، كان صرخة استغاثة من شيخنا الكبير الذي هجرناه"<sup>(٣٠)</sup>.

لقد اضطرت الرموز في الرواية وأغلقت مسارها، وما ذلك إلا بسبب المواقف القبلية للكاتب ومحاولته فرض آرائه الجاهزة وسوق اتهاماته ضد الدول الثورية والحركة القومية العربية والرئيس عبد الناصر، وهذا أدى إلى تحويل الرواية إلى كوابيس، إذ كانت الرموز التي اصطنعها الكاتب تخدم غرضه أحيانا، وتتناقض مع أهدافه أحيانا أخرى، وما ذلك إلا لرغبته الزائدة في فرض أيديولوجيته وتوجيه القراء وتعليمهم في الدرجة الأولى، فتحولت الرواية إلى فانتازيا.

### أوراق عاقر لسالم النحاس:

وهي رواية صغيرة الحجم أيضاً لفها الحزن والألم والمرارة، وانعكس فيها إلى حد كبير جو الإعلام العربي ومفرداته، كما بدت فيها بشكل واضح محاولة الكاتب التسجيلية، وقد اقتربت من حدود المذكرات إذ قسمها الكاتب إلى أربعة أقسام كالآتي: الأوراق الأولى - الأوراق الثانية - الأوراق الثالثة - الأوراق الرابعة، وقد عالج

في كل مجموعة من تلك المجموعات بعض علل المجتمع العربي من خلال بحثه عن علاج لعقم البطل (أبو يعرب) الذي هو في الحقيقة رمز لعقم القيادات العربية وعجزها. فأبو يعرب بدوي عاقر يرتحل مع زوجته أمية إلى دمشق بحثا عن علاج، وينزل في بيت صديق له، ويتردد على عدد من الأطباء دون أن يقبل الرأي الطبي أن العقم فيه وليس في زوجه ويستمر في علاج (أمية) عند المشعوذين ليفاجأ بأن (أمية) حامل ولكن الجنين لا يتحرك، وفي خضم أزمة القلق على الجنين تنفجر أنبوبة غاز في ٥ حزيران فتحرق الغرفة، ويقوم أبو يعرب بإنقاذ (أمية)، حيث يصاب بحروق كثيرة، ينقل على أثرها إلى المستشفى للعلاج.

يقول أبو يعرب: "أغلقت عيني وفتحت ذاكرتي وأخذ وعيي يلوب. توغلت وابتعدت كثيرا وسط الصور المحطمة حتى توقفت عند كليب يكتب بدمه وصاياه العشر شعرا: وأول شرط أخوي الزير لا تصالح لا تصالح لا تصالح... ثم عرّجت إلى عنزة وأبي زيد الهلالي، وعندما خطر صقر قريش شعرت بالتحجل يصفعني ويلهب جهتي كالسوط أو كالحبيرة تهبط فوق وجهه استنفذه الحماس الطفولي فأنا عاقر، وليست هناك مأساة أعمق من مأساة البدوي العاقر"<sup>(٣١)</sup>.

لم يكن خط الأحداث في الرواية متزنا، وهذا يعود إلى أنها لم تكن نتاج تجربة ومعايشة أنضحها الزمن والعقل المتأني، بقدر ما هي نتاج تصور وأفكار مختلفة متأثرة بانفعال الهزيمة الذي ران على نفوس الناس في تلك الحقبة، ولذلك جاءت وفيها الكثير من الاعتساف والافتعال وحشد الأفكار والمباشرة والخطابية وعلو الأيدلوجية السياسية، مع ضعف الخيط القصصي وبهوت الشخصوص.

وقد وجدت أن الكاتب قد نهج النهج ذاته في روايته اللاحقة تلك الأعوام التي صدرت سنة ١٩٨٣، إذ تحولت إلى بيانات أو مقالات سياسية في كثير من



صفحاتها، وغاب عنها الخيط القصصي، وتمطت الشخصوس، وجمدت الحركة، وحشدت الأفكار السياسية حشدا، وبدت في كثير من المواقع وكأنها بيانات سياسية أو حزبية، بل أن الكاتب أدخل مع روايته مسرحية قصيرة من فصل واحد لمحاكمة الجندي سليم عواد، لأنه احتج على تأخير روايتهم. وبعد استعراض أحداث محاكمة سليم، يعود للحديث عن درويبي عواد وقيادته لعشيرته وعن وسائله في تجاوز الصعاب التي تواجه العشيرة، ومن خلال ذلك يعرض لنا قضية ابن أخيه المعتقل في الجفر لأسباب سياسية، ومحاولتهم إقناعه باستنكار الحزب كما تريد الحكومة، كي يطلق سراحه<sup>(٣٢)</sup>.

ويتوالى هذا السيل من الروايات السياسية عند كثير من الروائيين، بل إن بعض الكتاب بدأ يكتب بعد النكسة وبأثرها، وتطغى السياسة على كل ما عداها في هذه المرحلة إلى حد الاعتقاد بأن العمل إذا لم يكن سياسيا أو يعالج قضية سياسية فهو لا يستحق القراءة، وإذا لم تتناول قضية الأرض والحرية، فليس هناك من يقرأ لك. ولا غرو في ذلك فالساحة الأردنية كانت تعج بالنشاطات السياسية والحزبية على مستوى الكلمة والبنديقية، كما بدأ نتاج أدباء وشعراء الأرض المحتلة يملأ الأسواق بما فيه من وعي عميق لطبيعة الصراع والتحدي، وروح تفاؤليه، وحس ناقد. وقد أثر هذا كله على النتاج الأدبي الأردني عامة، وعلى الرواية خاصة، هذا الفن القادر على استيعاب التغيير الذي أصاب المجتمع في كل بناه. وهكذا أخذ موج الواقعية والسياسة يعلو في الرواية، وينخفض موج الرومانسية.

وكلما تقدم الزمن زاد وعي الناس بقضاياهم المصرية، وأهمها قضية فلسطين ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، وكان طبيعيا أن ينعكس هذا في نتاج الروائيين، خاصة إذا علمنا أن حوالي نصف سكان الأردن من أصول فلسطينية يعيشون على

أحلام الوطن السليب ونسائمه. كما أن للتجربة الديمقراطية وعودة الحياة النيابية بعد توقف طويل، وفتح أبواب الأردن أمام أبنائه المهاريين والعمو عنهم، وحرية الأحزاب، كل ذلك ترك أثرا إيجابيا على الرواية السياسية كما وكيفا، إذ وجد كثير من الكتاب أن في الرواية متسعا ومجالا رحبا لاستيعاب أفكارهم وفلسفاتهم، فبواسطتها يمكن رصد وضع الأمة وتحذير الجماهير مما يترتب بها، وتوعية الإنسان بتاريخه ومصيره، فهي طاقة سياسية واجتماعية هامة تعبر عن روح الأمة ومشكلاتها وتطلعاتها<sup>(٣٣)</sup>، ولذلك زاد عدد الروائيين عدة أضعاف عما كان عليه قبل ١٩٦٧، ودخلت تقنيات وأساليب جديدة إلى عالم الرواية<sup>(٣٤)</sup>.

يمكن القول إن كثيراً من الأعمال الروائية السياسية لكتاب شباب، وقد اتسمت بالقصدية والشعارية والخطابات وغلبة الجانب الفكري على الجانب الفني، وهذا يعود في رأبي إلى السرعة في الكتابة، وافتعال الوعي، والمبالغة في عرض الأحداث والشخص. وإذا كنا نعلم أن الرواية فن يحتاج إلى تجربة وخبرة ووعي ورصد وتحليل عميق وموضوعية في ربط الأسباب بمسبباتها، وفهم النفس الإنسانية، ومعايشة واختمار، يمكن أن نتفهم سبب إخفاق كثير من الأعمال الروائية السياسية، أو تحولها إلى بيانات سياسية أو نشرات حزبية أو مقالات خطابية. فهناك من يكتب دون أن تتوفر لديه أدوات الكتابة الفنية بشكل جيد، وهناك من يكتب دون أن يتوافر لديه الوعي السياسي وفهم فلسفة التاريخ وحركة المجتمع. وهناك من هو مدحج بالنظريات السياسية ويعتقد أن الأمر لا يعدو كونه إفراغا لهذه النظريات وتوزيعها بين عدد من الشخص. وهناك من يكتب ظنا منه أن الرواية لا تختلف عن المقالة ويمكن أن تقول فيها ما تريد بصراحة و مباشرة لذلك يضع الفكرة ثم يحاول تسويقها من خلال اصطناع أشخاص أو افتعال أحداث. وهناك من يكتب واضعا عينا على

الشارع وأخرى على السلطة، وهدفه إرضاء الجانبين أو النجاة منهما، فيضطر إلى المواربة. وهناك من يكتب لأنه يريد أن ينفث حقدته ضد جهة ما، أو يروج لأيدلوجيته مستغلا شكل الرواية الذي يظنه بسيطا.

فمؤنس الرزاز، في روايته: اعترافات كاتم صوت، والشظايا والفسيفساء، وبشكل أقل في روايته أحياء في البحر الميت، نراه قد استسلم للسياسة والأفكار الجاهزة، وألبسها لرواياته دون أن نحس بشيء من الاتساق. فمنذ الصفحات الأولى لرواية اعترافات كاتم صوت، يبدو القسر السياسي والقصدية، أو تكييف الجو كله لطرح أفكار الكاتب السياسية أو حملته على نظام سياسي في بلد عربي مجاور لأنه فرض الإقامة الجبرية على أبيه في بيته، ولذلك غالت الرواية، كما بدا، في الافتعال والتقديرية أو التسجيلية في كثير من المواقف.

"قالت: لو كان النظام البائد هو الذي اعتقلك لفهمنا. لو كان أعداؤك هم الذين انتقموا منك لقلنا لا حول ولا، ولكن رفاقك؟ كيف؟ لماذا؟"

سألت بدهشة: ماذا ستكتب؟

قلت: كتابا حول فكرنا فكر العصابة وضرورة انفتاحه على المادية الجدلية... رفعت نظارتي الطيبة عن عيني وقلت: ربما لأنني عارضت إعدام اليساريين<sup>(٣٥)</sup>.

قلت: كان لتضحياتنا في الماضي معنى.

قال: حين كان العهد البائد يسجنني<sup>(٣٦)</sup>.

الحياة هنا قاسية، لا أستطيع أن أعيش حياتي كوني ابن مسؤول في القيادة يجعلني ألعب دورا لا أحبه ولا أرغب فيه<sup>(٣٧)</sup>.

تساءل أين ذهب الرفاق القدامى؟ ثم أجاب وهو يتعد لعل الجنرال زجهم في إقامات جبرية<sup>(٣٨)</sup>.

فكل ما يحدث في رواية اعترافات كاتم صوت كأنه منفصل عن الآخر وساكن، وكل الشخصوس كأنهم مبرمجون للحديث عن قمع السلطة، ولذا نرى كل شيء محوراً وموجها لخدمة هدف الكاتب في الهجوم على نظام الحكم في بلد شقيق، ودون أن نحس أن في الرواية شخصوس نامين أو أحداثا متطورة أو بناء تشويقيا أو اتساقا قصصيا<sup>(٣٩)</sup>.

أما روايته الأخرى الشظايا والفسيفساء، فيبدو واضحا في كل صفحة من صفحاتها كيف أن السياسة أو التعسف في فرضها، حولت الرواية إلى تقارير ثقيلة أفقدتها انسجامها الفني.

"قال لي: يا رفيق اسمي محمد (س) وقد سجلت في الحزب عنواني وهاتفني، ولم يتصل أحد، فلماذا أهملتموني؟

سألته عن عنوان سكنه.. كان شعره جعديا والسمار ينبئ أنه بدوي. سألته عن عنوان ومكان سكنه جحظت عيناه وانتفخت أوداجه وقال بدهول:

قلت لك في بداية حديثي: أن اسمي محمد سين. أوغلت في الغباء فقلت:

يا أخي الكريم ورفيقي العزيز سألتك عن عنوانك لا اسمك.. رفع حاجبيه دهشة وقال بإلحاح:

قلت لك أنني محمد سين.

أدركت من فوري أنني إزاء حالة معقدة تقوم أساسا على سوء تفاهم. قلت:

يا رفيقي يا حبيبي. سألتك عن مكان لا عن اسم. انفعل الرفيق وقال:

حين أقول لك اسم عشيرتي ينبغي أن تعرف أين تسكن فاسم العشيرة دلالة على المكان" (٤٠).

أما إبراهيم نصر الله في روايته مجرد ٢ فقط، فيرسم لنا بدهاء ومراوغة، من خلال وصفه لرحلة قام بها السارد إلى قطر عربي، يرسم لنا صوراً لأحداث أيلول ١٩٧٠، فبينما كان يصف الحقائق في المطار انتقل إلى رسم لوحة مما حدث:

"وارتفع عمود الدخان عالياً، وحين انقشع لم يكن هناك بيت. كان الفحم. القذيفة صحت مبكرة، صفرت في قوس مسارها المار من تحت عنق الفجر. الفجر الموزع في الغباش. الفجر الذي يحاول استلال لونه من حلقة الساعة الأخيرة من الليل ليضيء يوماً كان مؤهلاً منذ أسابيع لهذا الانفجار.

أبي قال: قنبلة فسفورية.

ولم أقل له كيف عرفت

كان البيت المجاور قد أصبح فحمًا، ولم يكن هناك فسحة للأسئلة حين شد الصغار، وأمي من تحت أغظيتهم ورحنا نتجمع في الغرفة الثانية، الغرفة التي تحمي واجهتها المطبخ.

سقطت القذيفة التالية، وكنا خط النار، ورحنا نشد أيدي بعضنا، وتزاحمنا في

الباب" (٤١).

ومن خلال محاولته للحديث بالتلفون في ذلك البلد الذي وصل إليه، ينتقل بنا السارد إلى وصف آخر لما حدث في أيلول سنة ١٩٧٠، بأسلوب مروّع:

"قال: هناك القليل من الملاجئ. البيوت قبور وخطرة. هناك تسويات لبعض البيوت، وهناك بيوت متوارية عن الخط المستقيم للقذائف والرصاص، ولكن لا شيء

يفلت من مدافع الهاون والهاوتزر، أرحم ما في هذه الحرب الدبابات، تدمر واجهات المخيم، ويدمرها الشباب، الشباب جيدون، يقولون: إذا دخلوا علينا سيدبحوننا كالنعاج.

قال: المخيم تجمع في الوسط، وأمسك بصغيرته، وقال: عليكم أن تغادروا الملجأ، لأن الهجوم سيبدأ من هنا، وحاول أن يدفع الولد إلى الخارج، حين عاد وسحبه على عجل، وهو يرى القذيفة الصاروخية تهبط مجنونة، وتلتها أخرى، وسكنت جهنم جوارنا، وسكنا جوارها. لم تتحرك تناثر تراب هبط من سقف الملجأ، ومن جوانبه الصخرية المتفسخة، وكنا نرى بأذنيننا انهيار المخازن خلفنا، ونشهد أعمدة النار التي تلمح وجوهنا، وتزرع أرضية الملجأ بمسقطيل من الضوء الناري الذي يتسع ويضيق ويتأرجح<sup>(٤٢)</sup>.

وفي مكان آخر يرسم لنا لوحة للموت على لسان صاحبه الذي فقد ذراعه:  
"توقفت عند أحد الجنود سألته إن كان رأى يدا مبتورة هنا. هز رأسه.  
طرقت حديد دبابة متوقفة هناك قرب أحد المخازن الكبيرة المدمرة، أطل من  
البرج ضابط نصف نائم.

صرخ: ماذا تريد؟ لماذا تزعجني؟

قلت: يا أخ هل رأيت يدا ملقاة هنا؟

قال: يد !! ما أوصافها؟

رفعت يدي السليمة وقلت: مثل هذه تماما.

هز رأسه بالنفي، فابتعدت، لحقني صوته: يا أخ... يا أخ... يا أخ.

قلت: نعم